



من المعرض

جنان مكي اشو: تلك «حضارة» داعش

وأسرهم ثم مشهدية إعدامهم بحد السيف، أو حتى مشهدية السبايا وبيع النساء في الأقباص. كلها هنا، لم يفت باشو أي من تفاصيل مأساة عصرها. هي تردد على مسمع كل من يلقاها حزنها وأسأها على ما يصيب بلادنا جراء الهجمة التكفيرية من قتل وتدمير للإنسان والبنيان وصولاً إلى الكتاب والأثار التاريخية.

لا شك في أن الكثير من الفنانين عبر التاريخ عملوا على تطويع الحديد والمعدن، لكن قلة نادرة. جنان منها- نقلت أول انطباعات الحرب وأسلفتها. هذا طبعاً إذا استثنينا متاحف الحروب المتخصصة أو متاحف الأسلحة أو متاحف تاريخ البلدان حيث تكثر المجسمات التي تنقل بدقة فنية وتقنية تصاميم الأسلحة أو ساحات المعركة، أو حتى مواقع المعارك والعديد والعتاد كما تجسيدها على خرائط ثلاثية الأبعاد، عسكرية المهام أو متخصصة. هذا إضافة إلى متاحف التي تعتمد المواد الأساسية من دون تعديل كشاهد توثيقي على حقبات تاريخية معينة. وفي لبنان نموذج هام منها، هو «متحف مليتا» في جنوب لبنان.

تقول باشو بتواضع قل نظيره: «ربما يكون هناك إنسان حرفي يستطيع أن يقدم تفاصيل الدبابة أو الموتوسكيل أفضل مني باشواط، لكن مهمتي كفنانة ليست التقليد الصرف، فهممة الفنان الاستيعابية لا تسخها كحرفي». كيفية طرح الفكرة لا تسخها كحرفي». باشو لا تصنع الدبابة كدبابة، بل تبدأ بالهيكل ثم يتطور العمل تدريجاً: «أحذف ثم أضيف، ثم أركب ثم أحور.. وهكذا، تماماً كالروائي الذي يفتح نضه. لا صورة متكاملة منذ البداية، العمل لدي في طور التعديل دائماً». وهذا بطبيعة الحال عكس أي عمل حرفي قائم على نسخ الصورة الحاضرة مسبقاً.

الفنانة العاطفية، التي لا تتحمل الأعمال الباردة الخالية من الأحاسيس الإنسانية، تبني المستقبل كمن يراه ماضياً، فيسرع إلى التصويب. تصيغ التاريخ لهدف مستقبلي. «أكتب التاريخ لأحفادي. للصغار أولاً. أحزن نعم، لأنني أرى المشاهد القديمة تتكرر. ولا أريد لحفدي أن يعرف إلا الحقيقة». بهذه اللهفة التي تصل إلى ختام الحوار معنا، تسرّ بالسبب الكامن وراء انطلاقة حقبة ما بعد الشظايا/ الأرزات: «كانت شاحنة صغيرة جداً، صنعتها بكثير من الحب لأهديها لحفدي كي تبقى ذكرى معه، ثم سرعان ما تطورت، وها هو المعرض اليوم».

نيكول...

للأشخاص، وتلك المرحلة الثانية. ثم جاءت المرحلة الثالثة والأعقد تركيبياً حيث طُوِّع المعدن ليشكل حركة شبه دائرية لتكوين الشخص/الدمى الحديدية. تشير باشو إلى تفصيل هام: «لم أرد أن يكون للجلاد والضحية شكل واحد أبداً». عملت باشو على تكوين هويتين بصريتين مختلفتين لكل منهما، تحديداً عبر ثنائية واضحة تفصل بين شكلي رأس الجلاد ورأس الضحية. تقول: «غالباً ما كنا نرى على شاشات التلفزة أن القاتلين التكفيريين مقتنعون، وكذلك الأمر خلال الحرب اللبنانية. أما رأس الضحية، الذي غالباً ما سيقطع للأسف، ولم أقطع. فاشتغلت عليه بطريقة يبدو معسوب العينين تماماً كما كنا نراه أيضاً».

في الترجمة العملية، تلفّ باشو الجزء الأعلى من رأس الدمية الضحية بشكل حزام، خلافاً لرؤوس دمي القاتلين التكفيريين. الأخيرة تتكون من كتلة شبه دائرية فيها شرخ في الوسط كأنها فتحة العينين في القناع، وتحمل باشو الجلاد أيضاً سيقاً من صنعه. هذا ما نراه عند أغلبية الشخص/الدمى الحديدية التي تشكل جزءاً أساسية وبنوياً في مشهدية المعرض ككل. فحضور الإنسان في المعرض طاغ رغم أن الانطباع الأولي يوحي بأن الغلبة لقطع السلاح أو حتى الأعلام، وهذه مشهدية تعود بذاكرة الراي البصرية إلى فيلم Mad Max الشهير.

ثم هناك مجموعات الأقباص على أرض رملية إلى يمين القاعة، تشير إلى اختطاف التكفيريين للناس

باشو. هكذا، أكملت مهارة التصميم والطرح البصري، تشكيل روايتها ووضعها في إطارها الجغرافي الصحيح.

هو كل متكامل يجعل المواد التي قدمتها جنان معرضاً متماسكاً في مساحة تسمح لكل ما يعرض فيها أن يكون جذاباً، فكيف بديانات وأدوات حرب؟ كيف بموتوسيكلات الإرهابيين، وزوارق المهاجرين اللاجئيين؟ ساحة متكاملة تشبه تجسيم خارطة كبيرة لبلاد صنمها صالح بركات للمعرض هذا، فكانت هناك حصة للأرض كما للبحر وزوارق جنان الحديدية المصقولة بتقنية عالية ومتمايزة عن بقية المعرض لناحية كيفية السبك وكيفية

مشهدية الإعدام بحد السيف، والسبايا وبيع النساء في الأقباص

التشكيل بالحديد، ونوعية الكتل الحديدية المستعملة وصقلها بشكل متراص.

إلى ذلك، يلاحظ الزائر تنوعاً في تكوين بنى الدمى الحديدية، فمنها الشخص المصنوعة من أوراق حديد مسطحة بلا أبعاد إضافية، يبقى شعور طي الورق هو الأقرب إلى المتلقي. تلك كانت بداية العمل على تأليف الشخص/الدمى الحديدية، لتنتقل بعدها باشو إلى صقل شريحتين حديديتين متقاربتين، فتعطي بالتالي بعداً إضافياً

باشو الجديدة... فأين بدأت رحلة جنان في عالم الصقل الحديدي؟ الموضوع بدأ برغبة عندها في التجميع وفق ما تسرّ لـ «الإخبار». راحت تصفّ مئات الشظايا الكثيرة طوال سنة، كي تستطيع أن تختار ما يتناسب من القطع مع بعضها البعض. بعدها، صقلتها وحولتها إلى أرزتها الشهيرة التي أصبحت أشبه بامضاء لها.

إذاً، مع الأرزات الشظايا بدأت قصة تطويع المعدن. لكن المشهدية التي يراها زائر معرض جنان مكي باشو في «غاليري صالح بركات»، أوسع وأضخم من حدود العمل على الشظايا، ولوان الأخيرة كانت منطلق العمل بالمعدن عند الفنانة اللبنانية منذ عقود. وإذا كانت الأرزات تستقبل الزائر في الطابق العلوي للغاليري، فإن المفاجأة الأساس تكمن في تصميم مساحة المعرض المدهشة في الطابق السفلي.

يقول روبيرت جاكوبسن: «مع الحجر تنتقل عبر الأشكال. أما مع الحديد، فانت تعرف الشكل، لكنك تختار المساحة». ولإعطاء المساحة المصقولة مكانها في المساحة الكبرى للغاليري، صنم الغاليريست صالح بركات هذا العرض بنفسه، كما صرحت مديرة الغاليري كارول شهاب لـ «الإخبار». بركات ذو الرؤية الثاقبة صنم كل هذا المسرح الهندسي، وكيفه بمساعدة طاقمه لإبراز أعمال جنان الحديدية وإعطاء كل جزء منها حقه ومستحقه، كمن بجود أحرف قصيدة روائية ينقلها إلى الملأ بكامل تفاعلاتها وإحساسها عن كاتبها جنان مكي

عام 1983، اجتاحت شظايا قذائف العدو الإسرائيلي منزل جنان مكي باشو (1947) في كورنيش المزرعة. منطقة كانت أيضاً خط تماس بين مختلف الفئات المتصارعة في لبنان. عندها، بدأ عمل الفنانة اللبنانية على تطويع المواد الحديدية وتحويلها أشكالاً فنية. «أشعر أنهم اغتصبوا حياتي وبيتي، وأنا أنقم من هذه القذائف، لكن انتقامي جمالي/استيعابي، فانا أطوعها لإرادتي التشكيلية». هكذا تعبر باشو لـ «الإخبار» عن جذور تطويعها الشظايا الإسرائيلية التي انهالت على الأرض اللبنانية، مضيئة: «كل هذه القذائف صنعت في إسرائيل (Made in Israel)». لكن الفنانة حولتها بإرادتها الصلبة إلى أرزات خالدة، تتحدى عنف العدو وتبقى رمزاً للخلود. ألم يقل ليوناردو دافينشي: «إن جسداً جميلاً لا محالة زائل ميت، لكن العمل الفني لا يموت أبداً»؟

لكن كيف تعمل باشو؟ وكيف بدأت بتطويع المعدن والشظايا، وانتقلت في معرضها الجديد «حضارة» إلى ما بعد الشظايا/ الأرزات؟ إلى أفق التشكيل بالحديد، حيث «الفرغ هو الشكل، والحديد هو محيط الشكل» كما يقول النحات والمعلم الدنماركي روبيرت جاكوبسن. الأخير اشتهر بالدمى الحديدية، خاصة في الستينيات بعد انتقاله إليها من عالم التجريد، جامعا بقايا المواد الحديدية، وصاقلاً إياها في منحوتات بنت نهجاً فنياً مستمراً حتى اليوم؟ وهو يحضر تلقائياً إلى ذاكرة الزائر البصرية عند رؤية أعمال



من المعرض

* «حضارة» جنان مكي باشو: حتى 7 كانون الثاني (يناير) - «غاليري صالح بركات» (كليمنصو) للاستعلام: 01/365615